يومهن الوطني والعالمي لا يعني شيئاً لغير المتعلمات

لا مفر للمغربيات من رفع تمثيلهن... لتحقيق تطلعاتهن

□ الرباط – نادية بنسلام

■ مضى أكثر من شهر منذ هيمنت المرأة على النقاشات الدائرة في المجتمع المغربي والشأن العام. العاشر من تشرين الأول (أكتوبر) كان يوماً رسمياً للمرأة المغربية، لتأخذ الكلمة وتقول إن لديها حقوقاً ومطالب وتطلعات ينبغي الإنصات لها، ومناقشتها بجدية ومسؤولية، والبحث في سبل تحقيقها. وبالطبع، كانت هذه المرأة متعلمة، مناضلة، حقوقية، وسياسية، وتعرف كيف تعبر عن نفسها وأين ومتى...

بقية النساء، وجلهن ربات بيوت، وقرويات وعاملات بسيطات ومهمشات... لم يعن لهن يومهن الوطني كثيراً، أو شيئاً ما على الإطلاق. وإذا حصل واحرزت النساء الأخريات مكسباً، ينتظرن زمناً ليفهمن ماذا يعني، وكيف يستفدن منه.

نضالهن اليومي يخضنه منفردات، كل واحدة على طريقتها الخاصة، لأجل تدبير أعباء الحياة، داخل المنزل وخارجه، ومواجهة المشاكل اليومية. ومن حين الى آخر، عندما تشتد الأزمة عليهن، تلك المرتبطة بلقمة العيش الضرورية وأشياء أخرى حيوية، كالحق في الحياة والصحة، تخرج تلك النسوة عن صمتهن إلى الفضاء العام احتجاجاً، ويعلنّ مطالبهن بملء حناجرهن، ويرفعن رغيف الخبز، أو يحملن صور ضحايا المرض والبرد والفقر».

وبعيداً من هؤلاء النسوة وأيامهن العادية، خرجت النساء، منتصف العام الماضي، في تجمع يضم نحو ١٠٠٠ جمعية نسائية، يدعى بالـ «حركة من أجل ثلث المقاعد المنتخبة للنساء في أفق المناصفة»، للمطالبة بمطابقة واقع المرأة المغربية مع المواثيق والتشريعات الدولية، وتعديل مدونة الانتخابات، وتناضل «حركة الثلث» من أجل تخصيص «كوتا» للنساء لا تقل عن ثلث المقاعد السياسية، وتغيير نمط الاقتراع الفردي المعتمد في الانتخابات، واعتماد نظام الاقتراع باللائحة الوطنية، والحصول على التزام الأحزاب بترشيح النساء. واحتفال هذا العام بيوم المرأة الوطني الذي سنّه الملك يوم صدرت، منذ خمس سنوات، مدونة الأسرة بإصلاحات كبرى في أحوال المرأة والأسرة والأطفال، اتسم بدينامكية كبيرة بفضل تحركات وأنشطة نفذتها جمعيات نسائية، ونساء سياسيات وحقوقيات. كن قرابة السبعمئة امرأة، جئن إلى العاصمة الرباط من مختلف مدن المغرب، ليشاركن في أنشطة كثيرة، ضمنها توقيع ما اصطلح عليه بـ «نداء المساواة». طغى على النقاشات الانشغال بإصلاح مدونة الانتخابات، في أفق الاستحقاقات البلدية المقبلة المزمع إجراؤها مطلع صيف ٢٠٠٩، وذلك بغية رفع المشاركة والتمثيل النسائي فيها، إذ أن العمل السياسي بشكل أكبر تحد يواجه تمكين المرأة المغربية عموماً. وتسجل النساء غياباً شبه كامل عن تدبير الشأن العام في الجماعات المحلية، وهن لا يمسكن سوى بنسبة هزيلة جداً من المقاعد السياسية المحلية (٠,٥ في المئة)، ما يعد مفارقة واضحة، مع تمثيلهن داخل الحكومة بسبع وزيرات وفي البرلمان (١٠ في المئة، وهي النسبة المقررة عبر نظام الكوتا الذي اعتمد للمرة الأولى في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٢)، رغم أن هذا التمثيل لا يرضي تطلعات النساء.

«نداء المساواة» أطلقه في شكل حملة تحمل عنوان «مسيرة النساء نحو المساواة»، منتدى النساء البرلمانيات الذي شكلته قبل ٣ أعوام البرلمانيات أنفسهن، خارج انتماءاتهن الحزبية، بهدف نشر الوعي بضرورة المشاركة الفاعلة للمرأة في الشأن العام، وفي مواقع القرار السياسي، وكسب الاعتراف العملي بدورها في دعم الديموقراطية والمساواة والتنمية.

واعتمدت البرلمانيات وعدد من الوزراء خطة عمل في هذا الاتجاه، وضغط المنتدى على عامل الزمن، وطالب بوضع مقترحات تضمن مشاركة وازنة للنساء في استحقاقات ٢٠٠٩، تكون جاهزة وواضحة بحلول مناسبة «اليوم العالمي للمرأة» في ٨ آذار (مارس) المقبل، وتضمن بقوة القانون تكافؤ الفرص بين الرجال والنساء في التمثيل السياسي.

ويواجه تعديل مشروع مدونة الانتخابات مجموعة انتقادات توجهها البرلمانيات، كونه يقتصر على دعم تمثيل المرأة عبر «صندوق الدعم لتشجيع تمثيل النساء»، فقط. وكانت الحكومة المغربية أعلنت بداية الشهر الماضي اعتزامها وضع إجراء لرفع حصة المقاعد السياسية إلى الثلث، يقوم على تقديم حوافز مالية للأحزاب السياسية التي سترشح عدداً أكبر من النساء المؤهلات، واللواتي سيفزن خلال استحقاقات تموز ٢٠٠٩. وانتقدت البرلمانيات كون هذا الإجراء غير جوهري، ولفتن إلى أن المطلوب في إصلاح مدونة الانتخابات هو وضع قانون ملزم بالتدابير الضرورية لترشيح النساء، وضمان وصول المرأة إلى المجالس المحلية بتمثيل عادل. وقالت إحدى النائبات في المنتدى إنه يتعين الاجتهاد لتجاوز «الصعوبات الدستورية والقانونية التي تحول دون إدراج مقتضيات تشريعية صريحة لفائدة المرأة في المدونة».

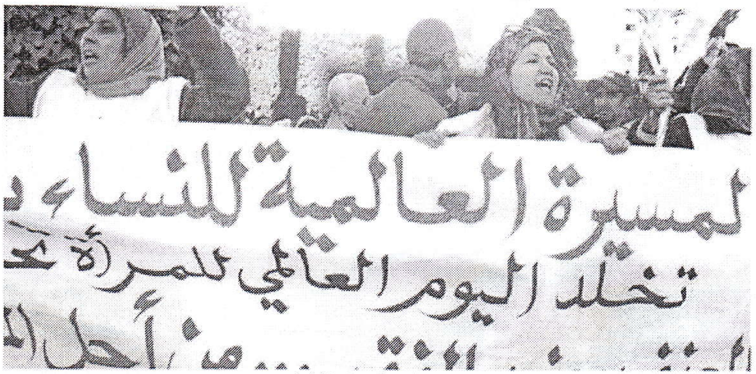

جانب من تظاهرة تطالب بتمثيل عادل للمرأة

١٢٧ برلمانية من ٢٤ ألف مرشح

□ الرباط – «الحياة»

■ في افتتاح الدورة التشريعية الخريفية للبرلمان المغربي، في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، جاء في خطاب الملك محمد السادس: «هدفنا الأسمى هو ضمان تمثيل عادل للمرأة في الحكومة المحلية، وبخاصة تمكين المستشارين المحليين من الاعتماد على مساهمة المرأة المغربية التي عهد إليها الاستقامة والواقعية والانسجام الاجتماعي».

● سبع وزيرات يشكلن ٢٠ في المئة من أعضاء الحكومة المغربية، وأكثر من ١٠ في المئة في البرلمان.

● ٠,٥ في المئة هي نسبة عدد المقاعد السياسية المحلية التي تحتلها المغربيات، بواقع ١٢٧ برلمانية من أصل ٢٤ ألف مرشح للانتخابات.

● تم تطبيق «كوتا» ١٠ في المئة، للمرة الأولى في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٢، واحتل المغرب بذلك المرتبة الثانية في العالم العربي، بالنسبة الى التمثيل النسائي في الشأن السياسي.

● تمثل النساء القرويات ٣٩ في المئة من سكان البوادي النشطين.

● وضع المغرب استراتيجية وطنية لدمج مقاربة النوع في السياسات العامة.

● وزارة التشغيل والتكوين المهني، تعد حالياً برنامجاً لاعتماد مقاربة النوع داخل الوزارة.

● للمرة الأولى منذ تأسيسه في ١٩٦٥، منح المعهد الملكي المغربي للإدارة الترابية، الذي يقدم التدريب النظري والعسكري والمهني، شهادات التخرج لفوج من النساء، في تموز (يوليو) ٢٠٠٧. يضم فوج قائدات الجماعات المحلية ١٩ امرأة، وحصلت إحداهن على أعلى درجة تمنحها الترقية مباشرة إلى رتبة والية إقليم.

«بيت الموسيقى» يوسّع الآفاق لأطفال فلسطين... غرباً

□ شفاعمرو (الجليل) – وليد ياسين

■ عندما تدخل منزل المواطن زهر الدين سعد، في قرية المغار في منطقة ٤٨، تخال نفسك عند مدخل دار للأوركسترا أو معهد موسيقي صغير. أبناء زهر الدين الأربعة، عمر (١٣ سنة) ومصطفى (١١ سنة) وطليبة (١٠ سنوات) وغاندي (٩ سنوات)، وهبهم الله نعمة عشق الموسيقى وملأ صدورهم بأشجانها، فاختار كل واحد منهم آلته المحببة، وانطلقوا جميعاً يعزفون مقطوعات موسيقية تجعلك تنتشي طرباً على أنغام الآلات التي استسلمت لأنامل الأشقاء الأربعة.

والأربعة يدرسون العزف في «بيت الموسيقى» القائم في مدينة شفاعمرو، التي تبعد مسافة سفر ساعة على الأقل من قريتهم ومع ذلك تجدهم يبكرون في الاستيقاظ صباح كل أحد، ليتوجهوا إلى المعهد، بشغف العاشق «لتلقي مزيد من رشفات الحب»، كما يقول والدهم، مضيفاً: «أصبحت الموسيقى تشكل الغذاء الروحي لأبنائي. الله أنعم علي بأربعة موهوبين أتوقع لهم مستقبلاً مشرقاً».

ويعتز سعد بتميز ابنه مصطفى في العزف على الآلات الوترية، وهو حائز «جائزة مارسيل خليفة» لأبناء جيله، في المسابقة التي نظمها «معهد ادوارد سعيد الوطني للموسيقى» في القدس، في تموز (يوليو) الماضي. ويكاد مصطفى يطير فرحاً وهو يتحدث عن مشاركته بعد فوزه بالجائزة، في الحفلة التي أقيمت في «قصر الثقافة» في رام الله، لتوزيع الجوائز على الفائزين، وقدم معزوفة.

ويذكر الفتى أنه عشق الموسيقى منذ طفولته، ووجد تجاوباً كبيراً من والديه، ما شجعه على مواصلة الطريق، وهو يحلم بتحقيق «مجد» في عالم الموسيقى ويؤمن بأن الموسيقى، ستشكل مصدر رزق له ولأشقائه.

وبحماسة مصطفى، يتحدث الطالب الجامعي سعيد سلباق، من مدينة شفاعمرو، الذي تخرج من بيت الموسيقى والتحق بمعهد عال للموسيقى لاستكمال دراسته الجامعية. بدأ سعيد دراسة الموسيقى، منذ كان في السادسة من عمره، وحين بلغ الثالثة عشرة التحق بـ «بيت الموسيقى» واستمر فيه، حتى اجتاز امتحانات الشهادة التوجيهية. ويقول: «منذ صغري، كنت أعزف على البيانو قبل دراسة أصول العزف، وحين التحقت ببيت الموسيقى، توسعت آفاقي، وتعزز حسي الموسيقي، ويمكنني أن أقول اليوم إنني لا أطيق العيش من دون موسيقى».

يلفت سعيد إلى أن عائلته دعمته بكل قواها، وهي تواكب مسيرته باهتمام كبير، «لا بل حين كانوا يشعرون بأنني أميل إلى التخفي، كانوا يدفعونني إلى المواصلة». وهو ينتقد بشدة قلة الاهتمام بالموسيقى في المنهاج التعليمي الرسمي، الذي ينقطع بعد الصف السادس ابتدائي.

ويقول انه يتحتم على المدارس العربية بخاصة، أن تعمل على تقريب الطلاب من الموسيقى، فناً وعلماً، من خلال منهاج دراسي، أو على الأقل، من خلال نشاطات موسيقية. ولا يخاف الشاب من المستقبل المهني، بل يصر على أن ما لمسه من اهتمام بالموسيقيين الشبان أمثاله، وإن كان ليس كافياً، يجعله يثابر وينشد التحقق في هذا المضمار.

جمعية «بيت الموسيقى» تأسست في مدينة شفاعمرو، في ١٩٩٩، بمبادرة من الموسيقي عامر نخلة ومجموعة موسيقيين محترفين جمعهم السعي إلى خلق إطار مهني لتعليم الموسيقى، وذلك بهدف سد الفراغ في هذا المجال الفني، داخل المجتمع الفلسطيني في منطقة ٤٨.

ويعتبر المعهد الإطار الموسيقي الأكاديمي الوحيد الخاص بالأقلية الفلسطينية في الداخل، وهو المعهد العربي الأول الذي حصل على اعتراف رسمي من وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية.

ويعتز عامر نخلة بمساهمة معهده في تغيير نظرة المجتمع إلى الموسيقى وفنونها، وبانتزاعه اعترافاً محلياً ودولياً، جعل منه مركزاً حيوياً نابضاً بالنشاطات. ويقول: «المعهد نجح في إدخال الموسيقى إلى المجتمع الفلسطيني بمفهومها العلمي، فلم تعد مجرد هواية يلجأ إليها الطالب في ساعات الفراغ، وإنما باتت موضوعاً علمياً له قيمته ووزنه في حياة طلابنا».

ويرى نخلة أن الموسيقى تجذب الأطفال منذ الصغر، ومن يحظى بالاهتمام والرعاية يحقق النجاح. ويضيف: «نحن نلمس في معهدنا مدى اهتمام الأهالي بأبنائهم وبناتهم، بدليل قدومهم من قرى تبعد عشرات الكيلومترات عن شفاعمرو». ويشير إلى أن المجتمع الفلسطيني في الداخل، يفتقر إلى أطر تحمي الأطفال وتوفر لهم نشاطات تربوية وثقافية، وقد وجد كثير من الأهالي في «بيت الموسيقى»، الإطار المناسب لتنمية قدرات الأبناء «ونحن نعتز بأن المعهد يضم طلاباً من مختلف مناطق الجليل».

ويتمنى نخلة أن يتمكن الموسيقيون الصغار وشبان المستقبل من التواصل مع أترابهم في العالم العربي. «فمجال التطور للموسيقي الفلسطيني هنا، محدود جداً، لكننا على رغم كل ذلك، يجب أن لا نيأس وأن نواصل السعي إلى فتح أبواب العالم العربي أمام موسيقيينا، مثلما نجحنا في فتح أبواب أوروبية».

ماريا وأستاذة البيانو (الحياة)

الموهبة الفنية تفرض ذاتها على أولويات الأهل وقيمهم

□ بيروت – «الحياة»

■ يصعب على كثير من الأهل تفسير ميل الأبناء إلى تفضيل النشاط الموسيقي على النشاط الرياضي أو غيره. عندما تسلمهم ورقة ممهورة بتوقيع المدرسة تدعوهم الى الموافقة على النشاط الإضافي الذي يختاره الابن أو البنت ويكون مدرجا على لائحة طويلة ومتنوعة، تبدأ بكرة السلة ولا تنتهي عند السباحة. والصورة تزداد وضوحاً عندما يكون أحد الوالدين ممن «تربوا» على حس الموسيقى. وفي هذه الحال، ربما كان «للجينات» دور مؤثر ليتنقل الشغف بالموسيقى من الأب أو الأم الى الطفل.

تشير دراسة كندية، أجراها معهد متخصص في علم النفس والأعصاب، إلى أن الأطفال الذين يتعلمون الموسيقى، تكون ذاكرتهم أقوى من ذاكرة سواهم. وتتقاطع هذه النتيجة «العلمية» مع نتائج دراسات أخرى تؤكد صحتها، إلا أنها تسقط أحياناً كثيرة، أمام اعتبارات الأهل وأولوياتهم. فالموسيقى «لا تطعم خبزاً»، في رأي كثيرين منهم، ويفضلون بقاءها مجرد هواية لا تتخطى عتبة قاعة التمرين في المدرسة.

لكن منطق أولياء الأمور لا يسود في كل الحالات. فالموهبة لدى الطفل تفرض نفسها أحياناً، وتجتاز «حاجز» المدرسة الى المعهد الموسيقي وربما إلى أبواب الشهرة... وهذا ما

يقول زين: «شجعتني أمي على رياضة الجودو، لكني أحببت الغيتار وعندما رأتني للمرة الأولى أعزف على مسرح المدرسة في حفلة نهاية العام، صارت تشجعني». وزين الذي يبلغ الثالثة عشرة من العمر يحلم بأن يصبح عازفاً مشهوراً أو يشارك في مهرجانات في حضور فنانين كبار. والدته تبحث عن معهد موسيقي ملائم كي ينمّي ابنها موهبته ويرضي شغفه. إلا أنها تخشى تعلّقه بالغيتار: «لا أريد أن يؤثر أي شيء في تخصصه الجامعي لاحقاً، خصوصاً إذا كان للأمر علاقة بالفن الذي لا أراه منتجاً، إلا في عالم الغناء الاستهلاكي».

خلال السنوات العشر الماضية تحولت الموسيقى في لبنان الى نشاط أساسي أدرج على لائحة النشاطات المدرسية، نظراً إلى دورها في تهذيب الذوق والتأثير في سلوك الصغار. وتشير روز صراف، وهي متخصصة في علم النفس التربوي إلى أن «ارتباط الطفل بالموسيقى يبدأ بإنصاته الى دقات قلب أمه، وغنائها له في المهد، ثم بتفاعله مع أغاني الأطفال في المدرسة وعبر التلفزيون. ويرجح أن تنمية القدرات الموسيقية تساعد في تنمية الشخصية وتقوية الإدراك الحسي والقدرة على الابتكار لدى الطفل».

ولكن، وعلى رغم الآثار الحسنة التي تطبعها الموسيقى في شخصية الطفل، تلفت صراف إلى أن الأهل ينزعون إلى إقامة «حواجز نفسية»،

الأهل دور المشجع الأول في توجيه أبنائهم نحو عالم الموسيقى تكون البيئة خصبة لإبداعات، أول من يدهش لها هم الأهل أنفسهم.

ماريا (١٤ سنة) تتلقى دروساً في البيانو، بمعدل حصة في الأسبوع، في «المعهد الوطني للموسيقى» (الكونسرفاتوار)، في بيروت. والدها الذي يهوى العزف على الغيتار لم تتسن له فرصة اظهار موهبته في معهد متخصص، «وامام جمهور»، كما يقول بحسرة. فقرر أن يقدم لابنته كل الدعم بما في ذلك تأمين دروس خصوصية وشراء بيانو لماريا، «بالتقسيط»، كي تتمكن من التدريب يومياً على العزف في المنزل.

ويشعر الوالد بالاعتزاز عندما يسمع معزوفات لشوبان وموزار وبيتهوفن تصدح في غرفة الجلوس. «هذا الإحساس يدفعني»، كما يقول بصوت عميق، «الى صقل موهبتها وتشجيعها على التقدم في دروس البيانو، وربما إحياء حفلات لكن ذلك لن يلغي إصراري على تسلّح ماريا باختصاص مهني، طالما أننا في لبنان نفتقر الى الدعم الرسمي والموجه الذي ينمي المواهب المميزة».

عندما بدأت يارا العزف على الكمان، كانت في العاشرة من عمرها. خمس سنوات مرت وتعلّق يارا بهذه الآلة يشتد، حتى بدت «كأنها نصفها الآخر»، كما يصفها والدها. وهي تتابع، في معهد موسيقي في إحدى